سلسلة خدمة الطّوارئ

صديقي في صراع مع ...

إيجاد الحُبّ الحقيقي

جوش ماكدويل

و

إد ستيوارت

كلمة شكر

نودّ أن نشكر الأشخاص التالية أسماؤُهم:

دايفد فِرغيوسُن، مدير «خدمات الحياة الحميمة» في أوستن بتكساس، إذ أسهم إسهامًا كبيرًا في هذه السّلسلة. ويظهر تأثيره ملموسًا في كلّ كتيّب منها، ولا سيّما بمبادئ رسالة «الحياة الحميمة». وقد جسَّد دايفد أمامنا نموذجًا في كيفيَّة كون المرء واسطة لعمل اللّٰه من خلاله على تعزية الآخرين ودعمهم وتشجيعهم.

دايفد بَلْس، مُساعد جوش منذ ثلاث وعشرين سنة، وقد عمل معنا جاهدًا في صياغة كلّ كتيّب من هذه السّلسلة، شكلاً ومضمونًا. إنَّ كلّ قصَّة خياليَّة في الكتيّبات الثمانية من «سلسلة خدمة الطَّوارئ» مقتبسة من المقطوعات السَمعيَّة الدراميَّة التي كتبها دايف شخصيًّا، عن «شبيبة في أزمة» ونحن نشكر اللّٰه حقًّا من أجل مواهب دايف والتزامه.

جُوِي بول، من دار النّشر «وورد» لم يقتنع فحسب بكامل هذا المشروع، بل أيضًا واظبَ على مناصرتِهِ في هذه الدَار.

جوش ماكدويل
إد ستيوارت

قصَّة «لوك»

خفَّف «لوك» قليلاً ضغطَ قدمِه على دوّاسة البنزين، رغم كونه متشوّقًا في قلبِه للوصول إلى قمَّة التَلّ. فقد تمَهَّل في قيادة السيّارَة لأنَّ صديقته «ترايسي» الجالسة قربَه كانت تستمتع بمنظر المدينة ليلاً على الطّريق المُنعطف هنا وهُناك صعودًا إلى مجسَّم النّظام الشَّمسي. وأراد «لوك» أن تتمتَّع «ترايسي» بتلك الأمسية. علمًا منه بأنَّها لا تريد أن تجعلَ لقاءَاتِهما أكثر متعةً لاحقًا، إن هي سُرَّت الآن وسَعِدَت.

أشار «لوك» إلى أضواء المدينة المشَعشِعَة خارجَ نافذة السيّارَة قائلاً: «أنظري إلى هذا يا «ترايسي!» وكما توقَّعَ تمامًا، مالت «ترايسي» صوبَه بقدر ما سمحَ لها حِزامُ مقعدِها، حتّى تشاهدَ المنظر. وقد كانت رائحة شعرها وجلدها عَطِرَة ساحرة. ولمسَت بيُسراها قفا رقبتِه، فسرَت قشعريرَةٌ من البهجَة في بدنِه.

لم يلاحظ أحدًا سوى «ترايسي» وقد بدا له أنَّها شُغِفَت بالعرض، وتمتَّع هو بقربِها منه، متحسِّسًا بيدِه نعومةَ يدِها. وإذ أنِسَ إلى رفقتِها، خطفَ قبلةً عارضةً في الظّلام، فكان تجاوبُها رقيقًا.

بعد العرض تمَشَّيا إلى مقعدٍ في الخارج حيث يستطيعان منه رؤية أضواء المدينة. وألقى «لوك» سُترتَه على كتِفَي «ترايسي»، وطوَّقها بذراعِه. وإذ كانا وحدهما على المقعَد، متلاصقَين طلبًا للدّفء، اتّقدَت رغبتُه فيها. وحرَّضَه تجاوبُها، فزادَت قبلاتُه حرارةً. كانت اللذّة عارمة. وأرادَ أن يكون أكثر التصاقًا بها. وفهم من تجاوبها أنّها راغبة في ذلك مثله.

وما إن رجعا إلى السيَّارَة، واستأنفا تلامسَهما الرّومنسي، حتّى كاد الزّمام يُفلِتُ من يدِ «لوك». فلكونه مؤمنًا بالمسيح، كان يعي أهميَّة الحفاظ على الطهارة الجنسيَّة. وقد عاهدَ الله في مخيَّم للشّباب، قبل ثلاثِ سنين، أن يحافظَ على عفَّتِه حتى يتزوَّجَ، وقد برَّ بعهدِه طيلة سِني الدّراسة الثانويَّة. ولكنّ تعهُّدَه لم يتعرَّض لتجربةٍ حقيقيَّة قبل أن يلتقيَ «ترايسي لُكهارت» منذ شَهرَين. فقد كانت مشاعرُه من نحوِها قويّةً، على خلاف ما سبقَ أن شعرَ به نحو أيّة فتاة أخرى. فكان ذلك أشبه بجوعٍ بدا أنّه يزداد قوّةً مع كلّ لقاء.

أمطرَ «لوك» بقبلاتِه على «ترايسي» في لحظة من العاطفة الجارفة ومستسلمًا لمشاعرِه المستبدَّة به، مضى يُلامسُها ويُداعبُها كما لم يفعَل من قبل. وبدا أنَّ «ترايسي» راغبة ومتقبّلة جدًّا للمشاعر التي يتوق «لوك» إلى صبِّها عليها، حتّى استجمعَ قوّةَ إرادتِه كلّها ليكفَّ قبل أن ينكث بعهدِه مع اللّه، وقال: «أفضل لنا أن نعود إلى البيت»، مبتعدًا عنها ببطء.

فقالت «ترايسي» بتَراخٍ: « صحيح! هذا أفضل».

وعادا بالسيَّارة صامتَين. فقد شعر «لوك» بالخَيبة والارتباك إزاء جرأتِه المتمادية في التّقارب الجسدي مع «ترايسي»، ولكنَّه أحسَّ كما لو كان مسيَّرًا رغمًا عنه. لماذا كانت مشاعره أقوى تجاه «ترايسي» على نحوٍ لم يسبق أن خبرَه تجاه أيّة فتاة أخرى قبلَها؟ لماذا شعر بذلك الانجذاب القاهر نحو مواقفِها جنسيًّا؟ وبينما هو يقود السيَّارَة نزولاً من النَلّ إلى المدينة، إذ خطرَت بباله لأوَّل مرَّة هذه الفكرَة: «إنَّ انجذابي إلى «ترايسي» قويٌّ جدًّا، فلا بدَّ من أنّني واقع في حبِّها!».

قصَّة «ترايسي»

«سامِحني يا ربُّ، لِتَساهُلي بمَبادِئِي». تلك كانت صلاة «ترايسي» في داخلِها فيما كان «لوك» يقلُّها إلى بيتِها. لقد خجلَت بتصرُّفِها الذي كاد يحملُها على نقض تعهُّدِها أمام الله بالحفاظ على طهارتِها. فهي لم تقصد قطّ أن تتمادى إلى النّهاية مع «لوك» أو مع أيّ شابّ آخر قبل الزَّواج. غير أنَّ مشاعرَها جرفتها هذه الليلة. فالعشاء الرّومنسي والشّموع، والكواكب، وتوق «لوك» لجعلِها تشعر بأنّها مميّزَة عندَه، ذلك كلّه بدا رائعًا. وقد كان «لوك» في منتهى العذوبة والعاطفة نحوها، حتّى كان من شأنِها أن تفعل أيّ شيء لإرضائه.

ثمَّ توقَّفَ «لوك» لسببٍ ما، قبل فوات الأوان، وشعرت «ترايسي» بكثيرٍ من الارتياح، إلاّ أنَّها أحسَّت أيضًا من الخَيبَة. فقد بدا لها «لوك» جافيًا للغاية الآن حتى ساءَلت نفسَها هل ارتكبَت أيَّ خطأ: «هل توقَّفَ لأنّني كنت شديدة الرَّغبَة؟ أم

هل كانت رغبتي غير كافية؟ هل فعلت شيئًا نفَّرَه؟ أم خابَ أملُه لأنّني لو أرقَ إلى مستوى فتياتٍ أخَر عرفهُنَّ؟» أسئلة نهشَت «ترايسي» أثناءَ إقلالتِه الصّامتة لها إلى منزلِها. وترجَّت ألاّ يكون ذلك آخرَ لقاءَاتِهما، إذ لم تكن راغبةً في فقدان ذلك الشابّ العَظيم.

وتذكّرَت «ترايسي» اللّقاءَ الأوَّل بينهما، في رحلة تزلّج ذات نهايةِ أسبوع، شاركت فيها شبيبة الكنيسة التي يصلّي فيها «لوك». وقد سجّلَت «ترايسي» اسمَها للمشاركة في ذلك النّشاط تلبيةً لدعوة «يولي» زميلتِها في المدرسَة وزميلة «لوك» في الكنيسة، وكانت «ترايسي» ترتاد كنيسة أصغرَ في الطّرَف الثاني من المدينة. وقد لفتَ «لوك» نظرَ «ترايسي» حالما وصلت إلى باحة الكنيسة. ذلك بأنّه كان من قادة الشّبيبَة في المرحلة الثانويَّة، وكان يرحّبُ بالوافدين من وراء طاولة التّسجيل في المرأب، ويناولُهم ورقة تحَدّد فيها الحافلة التي يستقلّون، والغرفة التي فيها سينامون. ولم يكتفِ «لوك» بأن يكون في غايةِ اللّطف معها، لكونِها زائرة جديدة، بل كان لطيفًا نحو الجَميع، باذلاً كلَّ جهدٍ لانطلاق تلكَ الرّحلة إنطلاقة حسنة. فقد بدا أطيبَ من أن تصفَه الكلمات!

ثمَّ ابتهجَت «ترايسي» في الصّميم لمّا صعد «لوك» أخيرًا إلى

الحافلة التي كانت هي فيها، وقعدَ على مسافةٍ قريبة منها. وفي أثناء السّاعات الثلاث التي استغرقتها الطّريقُ إلى الجبَل توزّع اهتمام «ترايسي» بين حديثِها مع «بولي» وصديقاتِها ومراقبة «لوك» وأصدقائه سرًّا، الذين كانوا يمرحون مرَحًا أشدَّ. وأعجبت «ترايسي» من بُعدٍ بخفَّةِ دَمِ «لوك» وروح المرَح لديه. وأثَّرَ فيها احترامُه للقادَة المتقدّمين وقدرته في مساعدة الجميع على التمتُّع بالرّحلة. وكان «لوك» قبل انطلاق الحافلة قد تقدَّمَ الطلاّبَ بكلمةِ صلاة لأجل سلامة السّفَر وتمكين أواصر الشّركة الرّوحيَّة والاجتماعيَّة في أثناء الرّحلة. فأدركَت «ترايسي» أنَّ أمامَها فتًى مسيحيًّا حقيقيًّا من الطّراز الرّفيع، ونوَت أن تتعرَّفَ به أكثر.

ووفَّرَت نهاية الأسبوع كثيرًا من فرَص اللّقاء «غير المتعمَّدَة» والتي يسّرَت التعارف، بحيث شكَّت «ترايسي» في أن يكون «لوك» قد لاحظَها أيضًا. وقد أقبلَ هو وصديقُه «كيرتِس» إلى مائدة الفطور التي جلسَت إليها صباحَ السّبت. وبينما انشغلَ «كيرتِس» و«بولي» بالحديث، أمطرها «لوك» بأسئلتِه: «كيف عرفتِ بهذه الرّحلة وبكنيستِنا؟ في أيّة كنيسة تصَلّين؟ منذ متى أنتِ مؤمنة بالمسيح؟ ما مدى خبرتِكِ بالتزلُّج؟ ماذا تنوين أن تفعلي بعد المرحلة الثانويَّة؟ وتأكّدَ لها أنَّ «لوك»

لم يكن مثل معظم الشبّان الذين تعرفُهم. فهو طرحَ عليها أسئلةً تخصُّها، بدلَ التبجُّح والتباهي، أو محاولة التأثير فيها بإنجازاتِه الباهرَة، فأبدى اهتمامَه بحياتِها الرّوحيَّة. وكان لطيفًا ويُتقنُ آداب المائدة فعلاً. فقبل نهاية ذلك الأسبوع، ما كانت «ترايسي» قد التقَت قطّ شابًّا في الثامنة عشرة يمكن أن تعتبرَه سيّدًا نبيلاً. حتّى إنَّها تمهّلَت في تناول فطورِها لأنَّها لم تُردْ أن ينتهيَ حديثُهما الأوَّل.

وعصرَ ذلك النّهار، على منحدرات التزلُّج، التقَت «ترايسي» «لوك» بضع مرّات. كان هو متزلّجًا بارعًا على خلافِها. فقدَّمَ لها بعض الإرشادات النّافعة، بغير أن يُحرجَها لقلّة مهارتِها وخبرتِها. واتّفقَ أنّه كان قريبًا في المرّات القليلة التي سقطَت فيها أرضًا، فأعانَها على الوقوف، وتحقَّقَ من عدم إصابتِها بسوء. وفي ذلك العَصر أيضًا، أقبلَ في بَهو الاستراحَة حاملاً إليها فنجانَ كاكاو ساخنًا، فيما جلسَت قرب النّار تجفّفُ جَوربَيها وتُدفئ قدَمَيها. وقد أزعجَها أن يسري الخدَر الغريب من جديد في يدَيها. ولكنَّها لم تذكر شيئًا من ذلك لِ»لوك». وتحادثا لأكثر من ساعة، وقتًا كان يمكنُ أن يُمضيَه «لوك» في التزلُّج. وقد ابتهجَت «ترايسي» أيَّ ابتهاج، إذ ألفت «لوك» بمنتهى اللّطف والرقَّة والأدَب والمِعوانيَّة. ولم تقدر أن تصدّق اهتمامَه

بها فيما كانت أيّة فتاة في الجبَل لا تتوانى عن الاقبال إليه ركضًا لتحظى بفرصة في رفقتِه.

واستعدادًا للعَودَة بالحافلَة إلى البيت مساءَ السَّبت، أبقَت «ترايسي» المقعَدَ الذي بقربِها شاغرًا، لعلَّ «لوك» يقعد هناك بعد فراغِه من الإعلانات والصّلاة. وكان كذلك، فدبَّت في أوصالِها نشوةٌ سحريّة. وبقيا يتحدّثان ثلاث ساعات، فيما أخلد سائر الذين في الحافلة إلى النَّوم. فأطلع أحدُهما الآخر على كيفيَّة تعرُّفِهما بالمسيح مخلّصًا، وعلى أحلامِهما المستقبليَّة وما يؤثرانِ من أطعمة وأفلام وأنغام. ولم تكَدْ «ترايسي» تصدّق كثرة ما يجمعُها من أمورٍ مشتركَة. وقُبَيل ترجُّلِها في مرأب الكنيسَة. طلبَ «لوك» أن يخرجا في نزهةٍ السّبت المقبل، فوافقت فورًا، ناويةً أن تُلغيَ من مفكّرتِها كلَّ ما قد يُعيقُها عن موافاة «لوك» ومرافقتِه.

ثمَّ كان الشّهران اللّذان أعقبا تلكَ اللّيلة، حتى اللّيلةِ الحاليَّة، شَهرَين عامرَين بالسِّحر، كما قدّرَت «ترايسي». فإنَّ «لوك» عاملَها كأنّها أميرَة. وكان لقاؤهما الأوَّل نزهةً على شاطئ البحَيرة، حيث أعدَّ «لوك» الغداء وعزفَ أنغامًا عذبة بمُدرَّجةِ الموسيقى المُصندق. ثمَّ اصطحبَها لحضور فيلم من النَّوع الذي يستهويها. فيلم رومنسي ليس فيه عنفٌ أو تفجير أو

ضرب. وقد صحبَها إلى مسرحيَّة تُعرَض في مسرَح المدينة الكبير. وتمشَّيا كثيرًا معًا في وسط المدينة. وفي لقائِهما الثالث قبَّلَ «لوك» «ترايسي» للمرَّة الأولى، ومن ثمَّ سهرَت حتى منتصف اللّيل تفكّر في الإعزاز الذي خُصَّت به لكونِها صديقتَه المميَّزَة.

ولَطالما كان «لوك» السيّدَ الماجد المثاليّ، أميرَ أحلام، من واقع الحياة. فكان يُهديها باقات الزّهور والورد، ويفتح لها الأبواب، ويُجلسُها إلى الموائد قبلَه. ويُهاتف لها، ويرسل إليها البطاقات والرّسائل القصيرة. وكلَّما تلاقيا قبَّلَ واحدُهما الآخر، وأمسكَ أحدُهما بيَدِ الآخر معظم الوقت. غير أنَّ «لوك» لم يكن قد أعارَ الجانبَ الجسديّ من علاقتِهما أهميَّة زائدة، حتّى كان ما كان اللّيلة.

أوقفَ «لوك» السيّارَة قدّام بيت «ترايسي»، وترجَّلَ مُسرعًا كالعادَة ليفتحَ لها بابَ بيتِها من الخارج. وما إن وطئَت قدماها الأرض حتّى ألفَت نفسَها أمامَه وجهًا لوجه في نسيم اللّيل البارد.

قال متلعثمًا: «ترايسي.. أنا.. أنا آسف بشأن ما كان اللّيلة، أعني أنّني.. شعرتُ بقربٍ زائدٍ منكِ...» ثمَّ تهدَّجَ صوتُه،

وعرفَت «ترايسي» أنّه كان يستصعبُ التّعبير عمّا يعنيه. فقالت مطَمئنةً:

«لا بأس يا «لوك». إنّك لطيفٌ وعذب جدًّا. أنا أعلم أنّك لم تقصد أن تأتيَ أيَّ خطأ. ويَسُرُّني أنّنا توقّفنا، شكرًا لك».

وبعد بضع ثوانٍ من الصَّمت، قال: «هل تُمانعين أن أتّصلَ بكِ غدًا؟»

فقالت مبتسمةً: «بل أرجو أن تفعَل!».

وبعد قبلةٍ لطيفةٍ على الخَدِّ دخلَت «ترايسي»، ثمَّ وقفَت خلفَ زجاج النّافذَة تراقبُه وهو يمضي مبتعدًا بالسيّارَة. وجالت في رأسِها أفكار حالمَة: «حتّى اللّيلة كان فتًى رائعًا كاملاً. لقد إعتذرَ عن جرأتِه العاطفيَّة، واستأذنَ كي يتّصلَ بي، وها أنا لا أطيق صبرًا حتّى أكلّمَه غدًا. إنَّ بيني وبين «لوك» شيئًا خاصًّا جدًّا، لا بدَّ أن يكون هذا هو الحُبّ... الحُبّ الحقيقيّ!».

إستراحَة للتَّفكير

ما برحَ «لوك» و«ترايسي» يتلاقيان منذ شَهرَين فقط. ولكنّ الحُبّ، هذه الكلمَة الكبيرَة، قد بدأ يُداخلُ فكرَهما. فلا عجبَ

إن كانا يُفكّران في الحُبّ. ما دُمنا نعيش في عصر يولى الحُبُّ فيه مكانة بارزَة. فالحُبُّ هو الموضوع البارز في كثيرٍ من الأغاني والأفلام والرّوايات والبرامج التلفزيونيَّة. فأنّى نظرتَ في عالم التّسليَة والتّرفيه، تجد شخصًا يقع في الحُبّ، أو يقع خارجَ الحُبّ، أو يمارس الحُبّ، أو يتظاهر بالحُبّ، أو يبذل الحُبّ، أو يحتاج إلى الحُبّ، أو يعيشُ الحُبّ، أو يموتُ لأجل الحُبّ.

وفي عالم الواقع، نرى الحياةَ بلا حُبّ جَحيمًا لا يُطاق. وتَوق المَرء لأن يُحِبَّ ويُحَبَّ شائعٌ في الجنس البشري شيوعَ نبض القلب والتنفُّس. فيبدو أنّ كلَّ واحد يتوق إلى الحُبّ الحَقيقيّ: حُبّ قويّ وعميق، حُبّ يدوم مدى الأيّام. غير أنَّ مطاردة الحُبّ ما انفكَّت تنتُجُ عن الأحزان والآلام، وانفطار القلوب والمرارَة، أكثر ممّا سبّبَته جميع الأمراض والحروب على مَرِّ التّاريخ.

تُرى، ما هو ذلك الشّيء الذي يُسمَّى حُبًّا، وكيف تدري أنّكَ قد وجَدتَه؟ إنَّ أشخاصًا مثل «لوك» و«ترايسي» مستعدّون أن يبذلوا أيَّ شيءٍ تقريبًا كي يَختبروا الحُبّ، ولاسيّما من قبيل الجنس الآخر. أمَا يُقال إنَّ الحُبَّ هو الذي يجعل الدّنيا تدور؟ إلاّ أنَّ طلاّبًا كثيرين ممّن يبحثون عن الحُبّ لا يجدون سوى

وجَع القلب وخيبَة الأمَل. لأنّهم لا يدرون عمّا يبحثون. فهم يخلطون بين الحُبّ الحقيقي وغيره من الاختبارات والمشاعر. ونتيجةً لذلك، يُخفقون في اختبار الحُبّ لأنّهم لا يعرفون ما هو الحُبّ وما ليسَ هو الحُبّ.

ولعلَّكَ تقفُ موقف «لوك» أو «ترايسي»، إذ تكون على علاقةٍ بشخصٍ من الجنس الآخر مميَّزٍ جدًّا، وكلمةُ «الحُبّ» في فكرِك، إن لم تكُن على لسانِك. هل أنت «واقع في الحُبّ؟» هل تدري كيف تتحقَّق من ذلك؟ أم لعلَّك ما وجدتَ بعدُ ذلك الشّخص المميّز جدًّا. لكنّكَ تودُّ أن تكون مستعدًّا عندما تجدُه؟ فأنتَ تريد أن تعرفَ ما هو الحُبّ الحقيقيّ حتّى يتسنّى لكَ أن تميّزَه إذا حصلَ في حياتِك. إنَّ الخطوَة الأولى على طريق تمييز الحُبّ الحَقيقي هي أن ارى ما ليسَ هو الحُبّ.

الحُبُّ الحقيقيّ ليسَ مثلُه مِثلَ الشَّهوَة. غالبًا ما يخلط أهلُ عصرِنا بين الحبّ والشّهوة، حتى إنَّ كثيرًا من أفلام أيّامِنا، وأغانيها الشّائعَة، ورواياتنا التي تتحدّث عن الحبّ، هي في الواقع عن الشَّهوة. وكيف تميّز الفرق؟ إنَّ الحُبّ يُعطي، وأمّا الشَّهوَة فتأخذ. الحُبّ يقدّر وأمّا الشّهوَة فتَستغِلّ. الحُبّ يبقى ويدوم وأمّا الشّهوَة فتخمد وتهمد. وربّما كان «لوك» متحيّرًا

قليلاً بين هذه وذاك. فهو يتمتّع بالبقاء قريبًا من «ترايسي» لأنّها توقظُ لديه حوافزَه ومشاعرَه الجنسيَّة المُمتِعَة. وهو يُبدي لها، ولو جزئيًّا، أفعالاً لطيفة. لأنّه يعتقد أنَّ ذلك سيجعلها اكثر استعدادً للمشاركة في التّماس الجسديّ والإلفَة اللّذَين يستمتعُ بهما.

وكادت شهوتُه تدفعُه إلى التّساهل في شأن طهارتِهما ا لجنسيَّة .

بلى، إنَّ الانجذاب الجسديّ كثيرًا ما يكون هو الشّرارَة التي يضطرم من جرّائها الحُبّ الحقيقيّ في نهاية المَطاف. وقد خلَقنا اللّه ذوي رغبة في العلاقة الجنسيَّة الحميمة وذوي قدرة عليها. ولكن إن كانت علاقتُك المتبادلة بشخص من الجنس الآخر مؤسّسَة على المشاعر الجنسيَّة الجارفة والإشباع الجسديّ المِلحاح، فقد تكون الشّهوَة لاعبةً دَورَ الحُبّ في تلكَ العلاقة.

الحُبُّ الحقيقيّ ليسَ مثلُه مثلَ الرّومنسيَّة. لمّا كان «لوك» و«ترايسي» معًا، كانا يسمعان قيثارات تعزف أنغامَ الحُبّ العذبَة. وإذا قبَّلا واحدُهما الآخر، تكاد المفرقعات العاطفيَّة تتطاير في قلبيهما. وكلّما نطقَ «لوك» بكلمات الحبّ والعاطفة

الحلوة، أو أبدى اهتمامَه بـ«ترايسي» بطرائق رومنسيَّة لطيفَة، كانت تشعر كأنَّها أميرة. وكلّما رنَت بحنان إلى عَينَيه، أحسَّ هو أنّه أقوى وأهمّ من أيّ شخصٍ سواه. كما أنّ أضواءَ الشّموع، والموسيقى العذبَة، والسّماء المرصَّعَة بالنّجوم، كانت تبعث مشاعرَ رومنسيَّة قويَّة في كليهما، ولاسيّما في «ترايسي».

إنَّ المشاعرَ الرّومنطيقيَّة رائعَة في العلاقة الوثيقَة بين الذّكَر والأنثى. وقد أعدَّنا الله بحيث نختبرُ هذه المشاعر في الصّلاة المميَّزَة مع الجنس الآخر. ولعلَّكَ اختبرتَ الدّفءَ الدّاخلي والمفرقعات العاطفيَّة المتعلّقَة بالأجواء الرّومنسيَّة في المُواعَدَة. غير أنَّ لذّةَ الرّومنسيَّةِ ودفئِها لا يمكن أن يتساويا مع الحُبّ. فالرّومنسيَّة مجرّد شعور، أمّا الحبّ الحقيقيّ فأكثر بكثير.

الحُبُّ الحَقيقيّ ليسَ مثلُه مثلَ الافتِتان. إنَّ الافتِتانَ هو انجذابٌ يَصحبُه اهتمامٌ جارف بشخصٍ من الجنس الآخر. فإذا بكَ تجد نفسَكَ مفكّرًا في ذلك الشّخص طوال النّهار وحالمًا به في اللّيل. وتخطّطُ نهارَك بحيث ترى ذلك الشّخص المميّز أو تحادثه. وربَّما تكون أفكارُكَ منشغلة كثيرًا بذلك الشّخص حتّى يتعذّر عليكَ أن تركّزَ على ما عداه. ويُدعى «الافتِتان» أيضًا «غرام المُراهقَة»، وعليه فإن كان الحُبُّ الوَحيد الذي

تختبرُه هو حُبَّ المُراهقة، فسيكون غرامُ المُراهقة مُرهِقًا لكَ!

وحين يتحدّثُ النّاس عن «الوقوع في الحُبّ» أو عن «الحُبّ من النّظرَة الأولى» فإنّهم عادةً يتحدّثون عن الافتِتان. وهذا الافتِتان هو الذي جعل «ترايسي» تشعر بانحباس الأنفاس وحالمة من جهة «لوك». كما أنّ «لوك» أحيانًا يشعر بالطّيش وتشوُّش الفكر حين يكون برفقة «ترايسي». ولعلّكَ اختبرتَ مشاعرَ مماثلة تجاه فردٍ من الجنس الآخر. فالافتِتان ليسَ خطأً، ولكن لا ينبغي أن نخطئَ في اعتبارِه مساويًا للحُبّ. وغالبًا ما يكون الافتِتان متركّزًا على الذّات، أمّا الحُبّ فهو يتركّز على الآخرين.

الحُبُّ ليسَ مثلُه مثلَ الجنس. كثيرون من الطلاّب (ومن البالغين أيضًا) يخلطون بين حدَّة الشّهوَة الجنسيَّة والحُبّ الحقيقيّ. ذلك هو ما حدثَ لِـ«لوك» بعدما كادَ جوعُه الجنسيّ إلى «ترايسي» يدفعُه إلى نكث عهدِه بالبقاء طاهرًا. فإنَّ رغبتَه الشّديدة في اختبار الجنس معها حملته على مُساءَلة نفسِه عن كون مشاعرِه مؤسَّسَة على الحُبّ الحَقيقيّ. وربّما تكون أنتَ قد ساءَلتَ نفسَك عن ذلك بشأن رغبتِك الجنسيَّة في فردٍ من الجنس الآخر.

وليسَ الجنس، كما رتّبَه اللّٰه، خطأً. فقد أعدَّه اللّٰه لأجل التّوالد والإشباع داخل نطاق الزَّواج. غير أنَّ الجنس والحُبّ شيئَان مختلفان واحدُهما عن الآخر. فرُبَّ إنسانٍ يمارس الجنس بلا حُبّ، وإنسانٍ يحبُّ بلا جنس. ذلك أنَّ الحبَّ عمليَّة، وأمّا الجنس ففِعل. الحُبّ نتعلّمُه، وأمّا الجنس فغريزيّ. الحُبّ يتطلَّب عناية متواصلة، وأمّا الجنس فلا يحتاج للوقت لكي ينمو. الحُبُّ يقتضي تبادلاً وتفاعلاً على الصّعيدَين العاطفي والرّوحي، وأمّا الجنس فيقتضي فقط تفاعلاً جسديًّا. الحُبّ يُعمّقُ ويوَثّقُ العلاقة، والجنس بلا حُبّ فيُفسدُ العلاقة.

والآن قد نتساءَل: «إذا كان الحبُّ أكثر من مجرّد الشَّهوَة ورومنسيَّة وافتِتان وجنس، فكيفَ أدركُ بأنّني أحبُّ حقًّا؟» هذا هو السّؤال الكبير، ولاسيّما حين تجد نفسَك منجذبًا نحو أفرادٍ من الجنس الآخر ومنهمكًا في مزيدٍ من المُواعدات. فلكي تُجيبَ عن هذا السّؤال، يُعوزُكَ أن تعرفَ ما يتعدَّى ما ليسَ الحُبَّ الحقيقيَّ، إذ يُعوزُكَ أن تدركَ ما هو الحُبُّ الحقيقيّ.

ومثلما يخلط كثيرون بين الحُبّ الحَقّ والشَّهوَة، أو الرّومنسيَّة أو الافتِتان أو الجنس، يتخبَّط كثيرون أيضًا في الظّلام من جهةِ أنواع الحُبّ المختلفَة التي يعبّر عنها النّاس. ففي العلاقات التي يُسمّيها النّاس «حبًّا» على نحوٍ روتينيّ، ثلاثة

أنماط أساسيَّة من السّلوك أو التصرُّف.

«**أحبُّك إن...**» هذا هو الحُبّ المشروط، أو المقيَّد بمواصفات معيَّنَة. وهو يُبذَل ويُنال فقط حينما تتحقَّق شروط معيَّنَة. فالوسيلة الوحيدَة لكسب هذا النَوع من الحبّ هو العمَل بطريقة مستحسنَة. ومن الآباء والأمّهات مَن يُحبّون أولادَهم إن أحسنوا التصرُّف، أو إن حصَّلوا علامات عالية، أو إن تصرَّفوا هكذا أو لبسوا كذا وكذا. وبين المتزوّجين أو المتواعدين، قد يُحجِمُ أحدُ الشّريكَين عن إبداء الحُبّ إن أخفقَ الآخر في أن يفعلَ أو يكون ما يتوقّعه الآخر. إنّما الحُبُّ المشروط بـ «إن» أو «إذا» هو حبٌّ أنانيٌّ في جوهرِه. إنّه سلعَة للمساومَة عليها ومُقايضتِها بشيءٍ مرغوب.

وما أكثرَ الشابّات اللّواتي لم يختبرنَ إلاّ هذا النّوع من الحُبّ، حيث القائل: «أحبُّكَ إن أعطَيتَني ما أبتغيه من الجنس»، أو «أحبُّكِ إن مارستِ معي الجنس هذه المرَّة فقط». وثمّة ضغطٌ شَرطيٌّ خبيث آخر، على صعيد الجنس، أساسُه المفهوم الخاطئ الشّائع القائل بأنَّ جميع المُتواعدين يمارسون الجنس، حيث الرّسالة: «بما أنَّ الجميع يفعلون هذا، فإنّكَ ستُحبُّني إن فعلتَه أنتَ أيضًا». ولكن ما لا تدركُه الفتياتُ هو أنَّ الحُبَّ الذي يتوقَّعنَ كسبَه من شابٍّ لقاءَ تلبيةِ مطالبِه الجنسيَّة

ليسَ سوى تقليدٍ رخيص للحُبّ مقصودٍ منه التّسويَة على حساب قيَمِهم الخلُقيَّة. وهيهاتِ أن يسدَّ ذلك الحاجَة إلى الحُبّ، كما أنَّه لا يستحقّ البتة ثمنَ التّساهل الجنسيّ الذي يُبذَل لقاءَه!

إنَّ الحُبَّ المشروط مقيَّد دائمًا بسلاسل. فما دامت شروطٌ مُعيَّنة مستوفاة، تكون العلاقة طيّبَة. أمّا حين لا تلَبَّى التوقّعات، فيُحجَبُ الحُبّ. وكثيرة هي الزّيجات التي تنفسخُ لأنّها بُنيَت على الحُبّ المشروط بـ«إن» و«إذا». فعندما يُخفق أحدٌ من الشّريكَين، أو كلاهما معًا، في رفع الأداء على المستوى المَنشود، يتحوَّل الحُبُّ إلى خَيبةٍ وحِقد.

وربّما كان «حُبُّ لوك» لـ«ترايسي» عند ذلك الحَدّ، مؤسَّسًا إلى مدًى بعيد على الحُبّ المشروط. فما دامت «ترايسي» تجعله يشعر بالرّضى، وما دامت ترتدي ما يسرُّه، وما دامت تُتيحُ له أن يتمتَّعَ بقُربِها منه، يظلُّ راغبًا بها. ولكن ماذا يحدث «لِحُبِّ لوك» لو انَّ «ترايسي» قالت: «لا تقبيل بعد اليَوم، ولا إمساك يَدًا بيَد. ولا عِناق عن كثب في السيَّارَة»؟ أهل يبقى راغبًا في رفقتِها وإنفاق ما يجنيه من مال ليَجعلَ أوقاتَها حلوَة؟.

الحُبُّ المشروط حُبٌّ زائف. فإن كنتَ في علاقة ما، وتشعر

بضغط في أداء معيَّن لتكسبَ الحُبّ الذي ترغبُ فيه، فلا تكون تلكَ العلاقة موَجَّهَة بالحُبّ الحَقيقيّ.

«**أحبُّك لأن...**» وهو النّوع الثاني من الحُبّ. الحُبّ المعلَّل (لأن...) هو نسيبٌ أقربُ إلى الحبّ المشروط (إن...). فالشَّخص هنا يحبُّ الآخر بسبب ما هو، أو ما عندَه، او ما يفعلُه. قد يقول قائل: «أحبُّكِ لأنّكِ جميلة جدًّا»، أو «أحبُّكَ لأنّكَ تعتَني بي جيّدًا» أو «أحبُّكَ لأنَّكَ تضحكُني». وربَّما كانت «ترايسي» مثلاً على الحُبّ المعَلَّل هذا، ما دامت منجذبة إلى «لوك» كثيرًا لأنّه بالغ العذوبَة والرقَّة والرّومنسيَّة في معاملتِه لها. يبدو الحُبُّ المعلَّل حسنًا جدًّا. فكلّ امرئٍ تقريبًا يُقدّرُ كونَه مَحبوبًا بسبب مَن هو أو ما يفعله. وهو يقينًا أفضل من الحبّ المشروط، الذي ينبغي أن يُكسَب دائمًا ويقتضي بذل جهد. أمّا أن نُحَبَّ لأنّنا حِسان المنظَر أو ظرَفاء أو أغنياء أو ذوو شَعبيَّة، وما إلى ذلكَ، فيبدو أمرًا أقلَّ تطلُّبًا بكثير من محاولة المساومَة لأجل الحُبّ.

ولكن ماذا يحدث لِحُبِّ «ترايسي» إن قابلَت شابًّا ألطَفَ وأظرفَ من «لوك»؟ وكيف تُعامِل «لوك» إن لم يعد قائدًا للشّبيبَة لافتًا للنَّظَر، أو لم يتوفَّر له اصطحابُها في لقاءَات رومنسيَّة؟ إذا كان حُبّ «ترايسي» متوقّفًا على ما يفعلُه

«لوك»، فربَّما لا يصمد في وجه أيَّة تغيُّرات سلبيَّة في دَورِه أو أدائه.

الحُبّ المعلّل ليس حبًّا حقيقيًّا. فقد تجد نفسَكَ منجذبًا إلى شخصٍ من الجنس الآخر بسبب شَخصيَّتِه، أو مركزِه، أو ذكائِه، أو مهارتِه، أو مقدرتِه. ولكن إن لم يكن حبُّكَ مؤسَّسًا على أكثر ممّا يبدو عليه ذلك الشّخص، أو ما يملكه، أو ما يفعله، فلن يدوم أبدًا.

«**أحبُّك على كلِّ حال**»، هو النّوع الثالث من الحُبّ. وهو الحبّ المجرَّد من الشّروط، ولسان حالِه: «أحبُّك رغم ما قد تكون عليه في قرارة نفسِك. أحبُّك مهما تغيَّرَ من حولِك، فلا يمكن أن تفعل شيئًا يُحوّلُ حُبّي عنك او يُبطِلُه. أحبُّك على كلّ حال.. ونقطة على السَّطر!».

هذا الحُبّ المُطلَق ليس حبًّا أعمًى، يُمكنُ، بل ينبغي، أن يعرفَ قدرًا كبيرًا عن الشَّخص الآخر. ورغم ذلك يقبلُه كما هو من دون أن يطلبَ شيئًا في المقابل. وما من طريقة لاكتساب هذا النّوع من الحُبّ، كما لا يمكن فقدانُه. فليسَ من أشرطة إضافيَّة معلَّقة به.

ويختلفُ الحُبُّ المطلق هذا عن الحُبّ المشروط بكونِه لا

يتطلَّب شروطًا معيَّنة تُستوفى قبل أن يُبذلَ. كما يختلف أيضًا عن الحبّ المعلّل بكونِه لا يتولَّد من الصّفات الجذّابَة أو المرغوبَة في الطّرف الآخر. وهكذا تكون الشَّهوَة والرّومنسيَّة والافتِتان والجنس، والحُبّ المشروط والحبّ المعلّل، منصبَّة كلُّها في الأساس على أخذ شيء من الطّرَف الآخر. أمّا الحُبّ الحقيقيّ فمَعنيٌّ بإعطاء الطّرَف الآخر. وما زال «لوك» و«ترايسي» في علاقتِهما أقرب إلى جهة الأخذ. فإن شاءَا لِما يسَمّيانِه «حبًّا» أن ينموَ ليصيرَ حُبًّا حقيقيًّا، ينبغي لكليهما أن ينتقلَ نقلة نوعيَّة إلى جانبِ الغطاء.

تتِمَّة قصَّة «لوك»

أنزلَ «لوك» غطاءَ الوجه من خوذة الرَّمي، وثبّتَ قدميه في مربَّع ضرب الكرة. وبعد ضربتَي تمرُّن بالمضرب الألومينيوميّ، نادى قائلاً: «حسنًا يا داغ، أنا مستعدّ!».

وقف «داغ» خارج مشبَّك الرَّمي وفي يدِه قطَع النَّقد التي كان «لوك» قد أعطاه إيّاها. وامتثالاً لإشارة «لوك» أسقط القِطَع المعدنيَّة في ثقب الآلة القاذفة التي تبعد نحو عشرين مترًا من حيث وقف «لوك» مضطربًا ومتحفّزًا. وبعد ثوانٍ قليلة قذفَت الآلة الكرَةَ الأولى نحو وسط قطاع الرَّمي. ورجَّحَ «لوك» المِضرَب فردَّ الكرة، وطوَّحها صوب الشّبكة عاليًا فوق الذّراع الآليَّة، ثمَّ استقرَّت على أرضيَّة الاسمنت من دون أن تُسبّب أيَّ أذًى.

فقال «داغ» بصوتٍ عالٍ: «إنطلاقة موفّقة، يا «لوك»! هكذا يُمكنُك أن تسجّلَ هدفًا مزدوجًا بلا شَكّ».

كان «داغ شو» وزوجته «جانّي» مُرشدَين متطوّعَين لخدمة الشّبيبَة في الكنيسة التي يُصلّي فيها «لوك». وقد عاد «لوك» مع «داغ» لتوّهما من فطور عمل لقادة الشّبيبَة في الخدمة بين طلاّب المدارس الثانويَّة. ولكونِهما من أنصار الرّياضة عمومًا، والبايسبول خصوصًا. فقد حاولا أن يقصدا مشبّكات الرَّمي معًا للتمرُّن مرَّةً أو مرّتَين كلَّ شَهر.

ثمَّ انطلقَت الرَّميَة الثانية كالبرق نحو الميدان. ومسَّ مِضرَب «لوك» الكرة مسًّا خفيفًا. أمّا الرّميتان التاليَتان فقد أخطأهما كليًّا.

قال «داغ»: «إنّكَ تُنزل مضربَكَ كثيرًا لتُعلّي الكرة. سَوِّ ترجيح المضرب بحيث تُبعد الكرة بعيدًا بدلاً من تطييرها إلى فوق».

فهَمهمَ «لوك» موافقًا، ثمَّ سدَّدَ المضرب لتطويح الرّميَة التاليَة. وهتفَ «داغ»: «ضربة عظيمَة! هدف مزدوج آخر» مصفّقًا بيديه. وبعدما تمرَّنا حتّى تصبَّب منهما العرَق، إشتريا علبتَي مرطّب، وجلسا إلى طاولة نزهةٍ قريبَة ليشرباهما تحت أشعّة الشّمس. وشرعا يتبادلان الحديث على وقع قرقعَة كُرات البايسبول إذ تردُّها المضاريب الألومينيوميَّة أمام مشبّكات التمرُّن. ولمّا فرغا من التحدُّث عن شؤون البايسبول، قال

«داغ»: «لاحظت أنَّكَ تمضي بعض الأوقات مع الفتاة الجديدة من ثانويَّة «ماديسون» ترايسي لُكهارت».

وتأمَّل «لوك» الكتابة المدوَّنة على سطح علبة المرطّب. ثمَّ قال بلهجة تكاد تخلو من أيّ تعبير: «صحيح ما تقول».

«تبدو فتاةً لطيفةَ المعشَر، صاعدة واعدَة، عذبةً جدًّا».

فأومأ «لوك» برأسِه موافقًا، وقال: «حقًّا إنَّ «ترايسي» مميَّزَة».

وقيَّمَ «داغ» هذا الجواب، ثمَّ قال: «لا تبدو عليك الحماسَة الزّائدَة. هل كلُّ شيء على ما يُرام، أعني بينك وبين «ترايسي؟»».

فتنهَّدَ «لوك» طويلاً، ثمَّ قال: «أعتقد أنَّ عليَّ أن أتكلَّمَ معك في الموضوع».

«ماذا تقصد؟»

فارتشفَ «لوك» جرعةً أخرى، وقال: «حسنًا، لستُ متيقّنًا بكيفيَّة مسار علاقتي بـ»ترايسي». وقد صلَّيت البارحَة طالبًا إلى الله أن يدفعَك إلى التحدُّث معي في الموضوع، إن كان يشاءُ لي أن أكلّمَ أحدًا فيه. فهل تُمانع أن أخبرَك عن علاقتِنا وأسألك بضعة أسئلة؟»

«لا مانع عندي على الإطلاق يا «لوك» يسرُّني دائمًا أن أسمعَكَ تقول ما عندَكَ. وسوف أشاركُكَ في ما أقدر عليه».

فروى له «لوك» خبرَ لقائه الأوَّل بـ»ترايسي» في رحلة التزلّج، وفسَّرَ كيف استقلَّ حافلة «ترايسي» ليكون قريبًا منها، وكيف تعمَّدَ تغيير طريقِه مرارًا لمحادثتِها خلال نهاية الأسبوع. ووصف بعضًا من لقاءَاتِهما، وكم باتا قريبَين أحدُهما من الآخر في غضون شهرَين فقط. فتضاحكَ «داغ» وهنّأه بطموحِه وبراعتِه، وتبسَّم «لوك».

ثمَّ ما لبثَ أن عاد رصينًا، فراح يتحدّث على مهل وبتقطُّع، راويًا كيف اصطحبَ «ترايسي» إلى مجسَّم النّظام الشَّمسي نهاية الأسبوع الماضي. وإذ أسقطَ التّفاصيل المُربكة، لخّصَ كيف كاد أن يَخلَّ بعهدِ الطّهارَة الذي قطعَه سابقًا. وأقرَّ بأنّه أخطأ في استغلال «ترايسي» على نحو ما فعَل. ومع نهاية قصَّتِه، ظهرَت على «لوك» ملامح البُكاء.

فقال له «داغ»: «أرى يا «لوك» أنَّ ما اختبرتَه نهاية الأسبوع الماضي قد سبّب لك كثيرًا من القلَق والهَمّ. وأنا أشعر بذلك معك، يا صديقي، لأنّي أحبُّكَ. ثمَّ إنّني فخور بكَ لأنّكَ أحسنتَ التصرُّف في نهاية المطاف». وربَّتَ على كتفِه بحنوّ

أخويّ صادق.

فقال له «لوك»: «أشكركَ جزيلَ الشّكر. لقد كنتُ على يقين تامّ بأنّك ستتفهَّم حالي!»

وأردفَ «داغ»: «إذًا أين أنتما الآن، أنت و«ترايسي»؟ هل قطعَتْ علاقتَها بك؟»

فردَّ «لوك»: «ذلك هو ما يحيّرُني في الأمر! فهي سرَّت بأنّنا، كما تعلم، لم نكمل إلى نهاية الطّريق. لكنَّها ليست غاضبةً عليَّ ولا لائمَة لي على ما كان. لقد تحادثنا في التّلفون مرَّتَين هذا الأسبوع، وهي تُريد أن نستمرّ في لقاءَاتِنا ونترافق، وقد اتّفقنا كلانا على ذلك».

سأله «داغ»: «وما هو شعورُك تجاه «ترايسي» بعد هذا الاختبار؟». فتخلَّصَ «لوك» من ذبابةٍ حطَّت على أذنِه، وقال: «لستُ أدري حقيقة شعوري يا «داغ». وأودُّ أن أسألَك عن رأيِك في الأمر».

«هيّا، أفصِح!»

وفسَّرَ «لوك»: «ما شعرتُ قطّ بمثل هذه المشاعر القويَّة نحو أيَّة فتاة من قبل. وجُلّ ما أبتغيه أن أظلَّ مع «ترايسي» طوال

الوقت. وحين نكون معًا، أرغب في لمسِها وتقبيلِها، وقد كادت هذه الرّغبات تورّطُني في مأزق في نهاية الأسبوع الماضي. فهل يعني هذا أنّني واقع في حُبٍّ «ترايسي؟».

فقال «داغ» مبتسمًا قليلاً: «هل تقصد الحُبّ الكبير؟».

قال «لوك» شارحًا: «ما خطرت في بالي قطّ كلمة «الحُبّ» بالنّسبة إلى أيّة فتاة أخرى قابلتُها. ولكنّ «ترايسي» مختلفَة. وأنا إنّما أريد أن أعرفَ: أهو الحُبّ حقًّا؟».

فسأله «داغ»: «وكيف باعتقادِكَ، يعلم المرءُ هل هو واقعٌ في الحُبّ؟».

هزَّ «لوك» كتفَيه: «إنّه نوع من شعور خاصّ جدًّا على ما أظنّ».

«فَلأَصُغْ سؤالي بطريقةٍ أخرى: بما تشبِّهُ الحُبَّ إذا حصل؟»

فأبعدَ «لوك» الذّبابة مرّةً أخرى، وقال: «لست أدري، لعلَّه أن تُمسكَ يدُ شخصٍ يدَ آخر ويترافقان..»

وهنا سحبَ «داغ» من جيبِه كتاب العهد الجديد في نسخة رقيقة مجلَّدَة بالجلد الطّبيعي، ومضى يقول وهو يتصفَّح الكتاب:

«ولمّا قابلت «جانّي» للمرَّة الأولى في الجامعَة، كان من شاني أن أجيبَ عن أسئلة من هذا النّوع بأجوبةٍ من نوع أجوبتِك. إنّما أريد أن أقرأ لك آيتَين ساعدَتاني في إدراك ماهيَّة الحُبّ الحَقيقيّ. وهما واردتان في الأصحاح الخامس من رسالة أفسس، أعني الآيتَين الثامنة والتّاسعة والعشرين».

ثمَّ فتحَ «لوك»: «مهلاً، يا «داغ»! نحن نتحدّث عن الحُبّ لا الزَّواج. فما أنا بزَوج، ولا أنوي أن أصيرَ زَوجًا عمّا قريب. وليس الزّواج بـ«ترايسي» في قاموسي، الآن على الأقلّ، فأنا أريد أن أتحقَّق من حبّي لها أوّلاً».

فقال «داغ» ضاحكًا: «إسترح، يا صديقي! أنا لا أحاول أن أجرَّكَ إلى حفل زفافِكما، بل أريد فقط أن نرى تعريف الله للحُبّ الحقيقيّ. ففي هذا النَصّ يُطبَّق الحُبّ الحَقّ على الزَّوجين، وهو يصحّ على كلّ علاقة».

وفكّر «لوك» هُنيهَة ثمَّ قال أخيرًا: «طيّب... حسنًا!».

فعاد «داغ» يقرأ من جديد: «كذلك يجب على الرّجال أن يحبّوا نساءَهم كأجسادِهم. من يحِبُّ امرأتَه يحبُّ نفسَه. فإنّه لم يُبغض أحدٌ جسدَه قطّ، بل يقوتُه وينمّيه، كما الربُّ أيضًا للكنيسَة؟».

وعلَّقَ «لوك»: «كنت أعتقد أنَّه يفترض بالمؤمنين المسيحيّين أن يحبّوا الآخرين أكثر من أنفسِهم».

فوضَّحَ «داغ»: «ينبغي لنا أن نحبَّ الله أكثر من أنفسِنا. ولكن بحسَب وصيَّة المسيح العظمى في إنجيل ٢٢. علينا أن نحبّ قريبًا كأنفسِنا. وكلمة «القريب» تتضمَّن الجميع: الوالدين، الإخوة والأخوات، الأصدقاء والصّديقات، الأزواج والزَّوجات».

وسأل «لوك» فورًا: «ولكن هل من الصَّواب أن نحبَّ أنفسَنا؟ أعني: أليسَ هذا نوعًا من التمحور حول الذّات؟»

ففسَّرَ «داغ»: «لا يتحدّث الرّسول بولس هنا عن النّاس الأنانيّين أو المتمحورين حول ذواتِهم. ولكنّنا جميعًا نهتمّ بحاجاتِنا الأساسيَّة، مثل تناول ما يكفي من الطّعام، والنّوم نومًا كافيًا، وربط أحزمَة الأمان، وقيادَة السيّارَة بانتباه، وقضاء وقت في التأمّل بكلمة الله المقدّسَة طلبًا للنموّ الرّوحي. ويقول بولس إنَّ علينا أن نُعنى باحتياجاتِ غيرنا عنايتَنا باحتياجاتِنا الشَّخصيَّة، فبالحَقيقَة، لكَ أن تقول إنَّ الحُبَّ حقيقيّ حين تعتبر أنَّ سعادة الشَّخص الآخر وصحَّته ونموَّه الرّوحي هامَّة أهميَّةَ ما يخصُّكَ أنت».

فأمالَ «لوك» رأسَه وقال: «ليس الحُبّ بالطّريقة التي بها

تتحدّث عنه. شعورًا على الإطلاق، إنّه أسلوب في معاملة النّاس، قوامه الاعتناء بهم كما تعتني بنفسِك».

فأومأ «داغ» برأسه، وقال: «إنَّ مشاعر الانجذاب القويَّة. كالتي تصفُها بينَك وبين «ترايسي»، غالبًا ما تُدعى حبًّا، لأنّ الحُبَّ يُصوَّر على هذا النّحو في الأفلام والتّلفزيون والأغاني. قد تصحب المشاعر الطيّبة الحُبّ، ولكنَّ الحُبّ الحقيقيّ يمكن أن يكون حاصلاً بوجود المشاعر أو بغيابِها، لأنَّ الحبَّ هو نشاط الاهتمام والاعتناء بالآخر كما تهتمّ وتعتني بنفسِك».

ثمَّ تابع «لوك» و«داغ» حديثَهما نحو ثلث ساعة بَعد، وصلَّى «داغ» صلاةً وجيزَة. وبعدئذٍ غادر «داغ» كي يبدّل ثيابَه ويُريح زوجتَه «جانّي» في محلّ الطّباعَة السّريعَة الذي يملكانه ويُديرانه معًا. وكان على «لوك» أن يُغادر أيضًا. فهو قد وعد «ترايسي» بأن يصحبَها لِشراء بطّاريَّة لسيّارتها. وقُبيل الافتراق، حثَّ «داغ» «لوك» على تطبيق فحوى حديثهما على علاقته بـ«ترايسي». ولم يكن لدى «لوك» أدنى فكرة بأنَّ دعوة «داغ» هذه ستتعرّض قريبًا لامتحانٍ صعب غير متوقَّع.

قصَّة «ترايسي»

لم تكفّ «ترايسي» وأمّها عن البكاء، منذ أن اتّصلَ طبيبُ العائلة هاتفيًّا في وقتٍ باكر من الصَّباح. وما كان من عادة «الدّكتور دَنكان» أن يتحدَّثَ إلى مرضاه أيّام السَّبت صباحًا. لكنّه قال إنَّ ذلك النّهار كان استثناءً. وكانت «ترايسي» قد ذهبَت إليه يومَ الجمعَة لِتستشيرَه بشأن الخدَر المزعج الذي كان ينتاب يدَيها أحيانًا. وبينما قلَلت هي من أهميَّة الأعراض، رتّبَت لها أمُّها موعدًا كي يفحصَها الطّبيب. وارتأى الطّبيب أنّه ينبغي مصارحتُها بما توصَّل إليه بالتّشخيص الأوَّلي.

وقد تلقَّت الأمُّ مخابرَة الطّبيب، فأطلعَت «ترايسي» على اسم المرَض: «تصلُّب الأنسجَة المضاعَف». وسألتها «ترايسي»: «لقد سمعتُ به، ولكن ما هو؟».

غالبَت «جاكي لُكهارت» دموعَها فيما قالت شارحةً:

«هو مرض يصيب الجهازَ العصَبيّ المركزيّ يا حبيبتي، يصيب الدّماغَ والحبل الشَّوكيّ، ولا يعلمون له سببًا ولا علاجًا. وتبعًا لموضع المرَض، فقد يسبّب... إعاقات!» ثمَّ لم تعُد تستطيع حبسَ دموعِها.

وسألت «ترايسي»، وقد أخذَ فيها الخَوف فجأةً: «إعاقات؟ أيَّة إعاقات؟ ماما، أيُّ خَطبٍ حَلَّ بي؟ وماذا سيحصل لي؟».

إستغرقَ الشّرح بضع دقائق، قطعتها على أمّ «ترايسي» لحظاتٌ من البكاء تشاركت فيها مع ابنتِها. وحاولت «جاكي» تشجيع ابنتِها، وتشجيع نفسِها، بقولها إنَّ الأعراض قد تأتي وتذهب، مختفيةً أشهرًا، او سنين دفعةً واحدة. ولكن ما لم يكتشَف علاج، أو ما لم يتدخَّل الله بمعجزة، فقد تفقد «ترايسي» أخيرًا القدرة على استخدام رجليها أو ذراعَيها، أو نُطقِها، أو تتعرَّض لأيَّة إعاقة بدنيَّة أخرى. وردًّا على جواب مباشر من «ترايسي» أقرَّت «جاكي» بأنَّ التصلُّب المضاعف قد يؤدّي إلى الموت في نهاية المَطاف.

ثمَّ جفَّفت «ترايسي» دموعَها، وخرجَت إلى الرّواق الأماميّ تنتظر «لوك». فقد كانت بادرة لطفٍ عذبة منه أن يساعدَها على شراء بطّاريَّة للسيّارَة. وفي تلك الأثناء اتّصلت «جاكي»

هاتفيًّا بزوجِها السّابق لتطلِعَه على خبَر السّوء. وكان والدُ «ترايسي» يُقيمُ في ولايةٍ أخرى مع زوجته الثانية.

وبينما كانت «ترايسي» جالسةً في الرّواق وعيناها باهتتان في الأفق، ساءَلت نفسَها كيف سيتقبَّل «لوك» الخبَر. لقد كتمَت عنه خبرَ الخدَر في يديها لسببَين. فأوّلاً، كانت هذه الحالة حتّى اليوم ما تزال مصدرَ إزعاجٍ لها أكثر منها مصدر قلَق. ومن ثمَّ لم تعُدَّ ذكرَها أمرًا هامًّا. وثانيًا، كان «لوك» شابًّا عظيمًا، وقد أرادَت أن تفعلَ كلَّ ما يُخلّفُ لديه أحسنَ انطباعٍ عنها. ومن ثمَّ بدا لها أمرًا مُستبعدًا جدًّا أن «تبوحَ» له بمعلومات عن «نقائصِها».

أمّا الآن، فينبغي لها أن تصارحَه. وإن أحجمَت عن ذلك، فلا بدَّ أن يعرف أخيرًا من مصدرٍ آخر، فيكون ذلك أسوأ، أضف أنَّ ذلك كان هو التصرُّف الصّائب. فبقدر ما خشيَت أن تُبعِدَ حقيقةُ مرضِها «لوك» عنها، كان الأمر الوحيد الذي تُمليه عليها المحبَّة هو أن تخبرَه. وقد أرادَت أن تفعلَ ما يتّسِم بالمحبَّة، لأنَّها كانت على يقينٍ وافٍ بأنَّها تحبُّه. ومن ثمَّ كان السّؤال الذي انتابَها وهي تترقّبُ ظهورَ سيّارتِه: «أيُحبُّني «لوك» حبًّا كافيًا بحيث يبقى معي رغم ما سأقوله له؟ ووراءَ هذا السّؤال سؤال آخر لم تشأ أن تفكّرَ فيه أبدًا: «هل يحبُّني «لوك»

أصلاً؟».

وما إن بدَت سيّارة «لوك» أمام المدخل حتّى ركضت «ترايسي» وقفزَت إلى داخلِها، وفي الحال لاحظَ عَينيها الحمراوَين، فقال باهتمامٍ ظاهر: «هل كنتِ تبكين يا «ترايسي»؟ ما خطبُكِ؟».

وحالاً أفضَت «ترايسي» إليه بالخبَر وسط سَيلٍ آخر من الدَّمع السَّخين. وقد شعرَت بحَرَج كبير وهي تبكي بحضور «لوك» إلاّ أنَّها لم تتمالك نفسَها. وعلى كلِّ حالٍ لم يبدُ الأمر هامًّا في نظرِها. فحقيقة كونِها غيرَ جميلة وهي تبكي تضاءَلت جدًّا في ضوء حقيقة كونِها قد تغدو عاجزة ذات يوم.

وقد جاءَت ردَّة فعل «لوك» أفضل بكثير ممّا كان ممكنًا أن تتمنّاه. ما كان ليفاجئَها لو ابتعدَ عنها كأنَّها مصابَة بالبرَص، وقال مثلاً: «عافاكِ اللّٰه وشفاكِ!». تاركًا إيّاها واقفةً عند المدخل.

ثمَّ إنَّ شابًّا حسنَ المنظر وعَذبًا مثله يستطيع أن يجدَ دزّينةً من الفتيات بلا إعاقات يخرجنَ معه هذه اللّيلة بالذات. غير أنَّه لمسَها برفق وأصغى إليها بانتباه وهي تخبرُه بمرضِها. ثمَّ طيَّبَ خاطرَها وشجَّعها بكلامٍ رقيق، وسألها عمّا يمكنُه أن يساعدَها به. كما وعدَها بالبقاء قربَها في هذه المحنة القاسيَة.

بعد ذلك عاونها كي تقف على قدمَيها من جديد، باصطحابِها إلى محلّ قِطَع السيّارات لشراء البطّاريَّة. وبعدما ركَّبَ البطّاريَّة، قبَّلَ «ترايسي» قبلة رقيقة، ثمَّ مضى.

ولم تبدأ لاحِقًا بالتساؤل: «هل يكون ذلك آخرَ عهدِها بـ«لوك»؟ هل كان رقيقًا وعطوفًا ومعوانًا وقنًا طال حتى أتاح له الهروب؟ أوَيكونُ الآن بالذات مخطّطًا كيف يتملَّص من هذه العلاقة بينهما؟ أم انَّ اهتمامَه أصيل كما بدا؟ وهل يعرف من أمور الحُبّ فوق ما قد أبدى لها في الشّهرَين الماضيَين؟

إستراحَة للتَّفكير

كان «لوك» أفضل استعدادًا لتقبُّل الخبَر الصّاعق الذي أطلعَته عليه «ترايسي»، بفضل مقابلتِه التي جاءَت في حينِها للمسؤول عن خدمة الشّبيبَة «داغ شو». فمن غير علمٍ منهما بحالِها آنذاك، كان التحدّي الذي وضعَه «داغ» أمام «لوك» على وشَك التعرُّض لامتحانٍ قاسٍ لحظة وصولِه إلى بيت «ترايسي». وقد كان تحدّي «داغ» في منتهى البساطَة: «بما أنَّكَ منجذب إلى «ترايسي» وهي منجذبة إليك، فلم لا تركّز اهتمامَكَ على تطبيق تعريف اللّه للحُبّ في علاقتِكما؟».

وما هو تعريفُ اللّٰه للحُبّ؟ إنَّ الحُبّ المطلق هو الحُبّ الحقيقيّ الوَحيد، الحُبّ الصّادق الوَحيد، الحُبّ الكتابيّ الوَحيد. إنّه نوعُ الحُبّ الذي يُبديه اللّٰه نحوَنا: حُبٌّ غير مشروط ولا مُعَلَّل. ليسَ فيه «إن» ولا «إذا» ولا «لأن». فالكتاب المقدَّس يُعلنُ أن «هكذا أحَبَّ اللّٰهُ العالم حتّى بذلَ ابنَه الوَحيد» يوحنّا ٣:١٦ وأيضًا، في هذا هي المحبَّة: ليس أنّنا نحن أحببنا اللّٰه، بل أنّه هو أحبَّنا، وأرسلَ ابنَه كفّارةً لخطايانا» ١يوحنّا ٤:١٠ وكذلك: «ولكنَّ اللّٰه بيَّن محبَّتَه لنا، لأنّه ونحن بعد خطاة ماتَ المسيح لأجلِنا» رومية ٥:٨ هذا هو الإله الذي يحبُّنا حبًّا غير مشروط، على الرّغم من خطيَّتِنا، وعلى الرّغم من نقائصِنا وضعفاتِنا.

فبحسَب الآيات التي قرأها «داغ» لِـ«لوك» خارجَ مشبَّك الرَّمي، يتجلَّى الحُبُّ الحقيقيّ غير المشروط حين تكون سعادة الشَّخص الآخر وصحَّتُه ونموُّه الرّوحي هي بأهميَّة ما يخصُّك أنت. وقد كتبَ الرّسول بولس لمؤمني أفسس: «فإنّه لم يُبغض أحدٌ جسدَه قطّ، بل يقوتُه وينَمّيه، كما الربُّ أيضًا للكنيسَة» أفسس ٥:٢٩. فليس من الأنانيَّة ولا التّركيز على الاهتمام بالذات أن نقوتَ أجسادَنا ونربّيَها: إذ إنَّ هذا حُبٌّ طبيعيٌّ للذات وسليم. والحبُّ الحقيقيّ يعني أن نقوتَ ونربّيَ الآخر تمامًا كما نقوت ونربّي ذواتِنا.

والفعل «يقوت» يعني أن نغذّي في سبيل النموّ والنّضج. فلِكَي تقوت، مثلاً، نبتةً أو زهرةً في حديقتِك، توفّر لها كلَّ ما تحتاج إليه من ضوء الشّمس والماء وغذاء النّبات، حتى تنموَ وتعلو وتثمر. فإن قوتَ هذا الشَّخص المميّز في حياتِك يعني أن توفّر له ما يؤول إلى نموّه ونضجِه، بتلبيةِ احتياجاتِه تمامًا كما تُعنى بتلبيةِ احتياجاتِك الخاصَّة.

أمّا الفِعل «يُرَبّي» فيعني أصلاً ان تحميَ من الأذى. تَصوَّر عصفورَةً أمًّا ناشرةً جناحَيها على فراخِها لتحميَها من سوء الطّقس أو الخطَر الدّاهم. وأن «تُرَبّي» صديقتَك المميَّزَة يعني أن تحميَها من كلّ أذًى، تمامًا كما تتّخذُ الاحتياطات اللازمَة لحماية نفسِكَ من الأخطار أيًّا كان نوعها.

وهاكَ تعريفًا من أبسَط ما قد نجده من تعريفات الحُبِّ الحقيقيّ على الإطلاق: «حماية شخص آخر وتوفير ما يُعوزُه». وفي هذا التّعريف انعكاسٌ لصورة محبَّة الله كما تتجلَّى في الكتاب المقدَّس. وأسمى مثال لها محبَّة الرَبّ يسوع المسيح للكنيسَة. وإنّه لَحَيٌّ هو اليوم، يحمينا ويمدُّنا بمقوّماتِ الحياة!

فكيف تبدو صورة الحُبّ الحقيقيّ في علاقةِ مواعدَة؟ لا بدَّ لكَ من أن تتكلَّم وتتصرَّف بطرُقٍ من شأنِها أن تحميَ الطرَف

الآخر وتوفّر له كلَّ خير. فإنّك، مثلاً، تقودُ السيّارَة بانتباهٍ لا بتهوُّر، لأنَّكَ تريد حمايتَه من حادث سير. كما توفّر نشاطات تُغني خبرَة الطّرف الآخر شخصيًّا وتكون ممتعَة له، بدلاً من تلك النّشاطات المشكوك في قيمتِها. ولن تضغَط على ذلك الطرَف لتلبيَةِ رغباتِك الجنسيَّة بل تحميه بالأحرى من ألم التّساهل في القيَم الخلُقيَّة.

وكما يمكنُكَ أن ترى، فإنَّ الحُبّ الحقيقيّ، من وجهة نظَر اللّه، يتعدّى أكثر بكثير مجرّد الانجذاب إلى شخصٍ مميَّزٍ، أو الشّعور بإحساسات حميمَة نحوَه. إنَّ الحبَّ الحقيقيَّ قرارٌ وتصميمٌ وفِعل واستجابَة للاعتناء بالآخر كما تعتَني بنفسِك. ومَعلوم أنَّ حمايةَ الآخرين والعنايَة بهم هما فِعل إرادَة منّا، بصرف النَّظَر عن مشاعرنا. على هذا النّحو ينبغي أن نحبَّ الجميع، أفراد العائلة، الأصدقاء، زملاء الصَفّ، الجيران، بل الغرباء أيضًا. فينبغي لنا دائمًا أن ننشدَ للآخرين السَّعادَة والصِحَّة والنموّ الرّوحي، مبتدئينَ من الأقربين، أفراد العائلة والأصدقاء المقرَّبين. ومتوسّعين أيضًا نحو الذين لا نعرفُهم، كأشخاصٍ حول العالم ينتفعون من عطائِنا الخَير.

فإن كان لكَ صديقة، أو إن كان لكِ صديق، فإنّهما في دائرة المقرَّبين. وإن كنت تتعلَّم كيف تحمي أحدًا وتعتني به، فينبغي

أن يكون ذلك هو الشَّخص الذي أنت أعمق انجذابًا إليه. ربَّما تكون العلاقة قد بدأت بالافتِتان. أو التعلُّق الرّومنسيّ، أو حتى الجنس. ولعلَّكما راعيتُما جُرَعًا كبيرة من الحبّ المشروط (أحبُّكِ إذا...)، أو الحبّ المعَلَّل (أحبُّكِ لأن...)، في معاملتكما أحدِكما للآخر. لكنَّما الحبّ المشروط والحبّ المعَلَّل نادرًا ما يحميان الطرَف الآخر أو يعتنيان به.

فإن شئتَ أن تنمو العلاقة وتنجحَ وفقًا للمبادئ الإلهيَّة، فركّز على تطبيق تعريف الله للحُبّ: أحبُّك حبًّا مطلقًا... ونقطة على السَّطر! هذا الحُبّ غير المشروط يسعى جاهدًا لحِماية الآخر والعنايَة به. فوعيٍ منك، إجعَل سعادة الشّريك وصحَّتَه ونموَّه الرّوحي معادلةً في الأهميَّة لِما يخصُّكَ أنت. وإن كنت على علاقة رومنسيَّة بفتاة ما، فستعلم أنّه الحبّ الحقيقيّ حين تكون مُنيةُ قلبِكَ أن تحميَ غايةَ عواطفِكَ وتعتني بها.

وفي الواقع أنَّ خبرَ «ترايسي» الصّاعق بشأن إصابتِها بتصلُّب الأنسجَة المضاعف قد أيقظَ «لوك» ونبَّهَه كي يُعيدَ تقويم علاقتِهما. فبعد سُوَيعاتٍ من لقائِه لـ«ترايسي»، ألفى نفسَه يلتمسُ مشورةَ مُرشديه الرّوحيّين. وفي جُعبتِه مزيد من الأسئلة.

تتِمَّة قصَّة «لوك»

جلسَ «لوك» في سيّارتِه خارج محلّ الطباعة السّريعة حتى السّاعة السّادسة مساءً. ثمَّ اقترب من الباب حالما ظهرت «جانّي شو» لتقفلَه وتقلبَ اللاّفتة في الواجهة من «مفتوح» إلى «مُقفَل». وقد بدا التأثُّر على وجهه واضحًا وضوحَ الضَّوء وسط الظّلام، حتّى إنَّ «جانّي» قالت له حالما اقتربَ من الباب «مرحَبًا يا «لوك»! هل مِن خَطب؟».

فقال: «أتسمحان بأن أتكلَّم معكما، أنتِ و»داغ» بضع دقائق؟»

«طبعًا، يا «لوك»، أدخل!»

ثمَّ أقفلتِ البابَ خلفَهما واصطحبَت «لوك» إلى المكتب، حيث كان «داغ» يُطفئ جهاز الكمبيوتر.

أفضى «لوك» إليهما بخبَر مرَض «ترايسي» المكتشَف حديثًا، فصُدِما كلاهما، وقالا إنّهما سيُعرّجان على بيت «ترايسي» في

طريقِهما إلى البيت بعد انتهاء عملِهما.

وأردفَ «لوك»: «داغ، لقد ازداد فهمي للحُبّ منذ تحادثنا هذا الصّباح. وقبلتُ التحدّي الذي وضعتَه أمامي للبدء بإبداء الحُبّ الحقيقيّ لـ«ترايسي». لكنّني ما توقَّعت هذا. أقصد أنَّ «ترايسي» فتاة جميلة، ولكنَّ مرضَها قد يغيّرُ حالَها مع مرور الوقت. وقد تغدو غير قادرَة على ممارسة التزلُّج أو السّباحَة أو ركوب الدرّاجَة. وإذا تزوَّجنا ذات يوم، لا أقول إنّنا سوف نتزوَّج، بل إذا تزوَّجنا، فهل تكون قادرة على القيام بالواجبات الزَّوجيَّة وإنجاب الأولاد؟ أعرفُ أنَّ الحُبّ الحقيقيّ يقول: «أحبُّكِ... ونقطة على السَّطر». لكنّني ما كنت أدري أنَّ تلكَ النّقطَة ستكون بهذه الضّخامَة!».

وضَعَ «داغ» و«جانّي» يديهما على كتِفَي صديقِهما الشّابّ، وقالت «جانّي»: «لقد كان نهارُكَ قاسيًا يا «لوك»، ونحن آسفان للخَيبَة التي تواجهُها. سوف نصلّي لأجلكَ كما لأجل «ترايسي» أيضًا».

«شكرًا لكما. إنَّ ذلك يعني لي الكثير».

ثمَّ قال «داغ»: «اللّه وحدَه يعلمُ المستقبل يا «لوك»، وهو وحدَه يعلم إن كان مقدّرًا لكما أن تمضيا، أنت و«ترايسي»

عمرَكما معًا زوجًا وزَوجَة. فذلك أمرٌ يمكنُك أن تتركَه في يدِ اللّه، لأنّه طيُّ المستقبل. وفي هذه الأثناء، أما تزال منجذبًا إلى «ترايسي»، أعني أكثر من مجرَّد الانجذاب الجسَدي؟».

فكَّرَ «لوك» هُنيهةً قبل أن يجيبَ قائلاً: «طبعًا! إنَّ «ترايسي» شخصٌ مميَّز، إنَّها مرحَة وذكيَّة وسعيدَة، وبيننا أمورٌ مشتركة كثيرَة. أقرُّ بأنَّ مظهرَها استحوذَ على اهتمامي أوّلاً. ولكنَّ فيها أكثر بكثير ممّا تبدو عليه».

فبادرَت «جانّي» قائلة: «يبدو أنَّ «ترايسي» تعني لكَ الكثير!» فأومأ «لوك» برأسِه وقال: «بلى.. الكثير».

«إذًا ليس لديكَ ما تَخسرُه بجعل سعادتِها وصحَّتِها ونموِّها الرّوحي معادلاً في الأهميَّةِ لما يخصُّك. فأن تحبَّها بالطّريقةِ التي يريدُها اللّه أمرٌ يُغني علاقتَكما الآن إلى أبعَد حَدّ. وإذا قضَت خُطَّة اللّه وتوقيتُه بأن تتزوَّجا يومًا، فسوفَ تكون علاقتُكما مؤسَّسَة على الحُبّ الحقيقيّ، وليس على أيٍّ بديلٍ أرضيّ».

تأمَّلَ «لوك» في هذه الكلمات للَحظاتٍ، ثمَّ قال: «صحيح! ولكن كيف؟ هلاّ تضربان لي بعض الأمثلة العمليَّة حولَ الصّورَة التي قد يبدو عليها حبّي لـ«ترايسي» ولاسيَّما في ضوءِ

ما قد اكتشفتُه اليَوم!».

أمضى «داغ» و«جاني» الدّقائق القلائل التاليَة يُدليان باقتراحاتِهما. ولمّا وقفَ الجميع للانصراف، عانقَهما «لوك» كليهما وشكرهما. وقال لهما إنّه ذاهب إلى بيت «ترايسي» قليلاً. فقال له الزَّوجان إنّهما سيُوافيانِه إلى هناك بعد إقفال المحلّ نهائيًّا.

وقبل مغادرة «لوك» مركز التسوُّق، عرَّجَ «لوك» على مكتبةٍ لِشراء بطاقة لِـ«ترايسي». واختارَ بطاقةً إعتقدَ أنّها ستُعجبُها. لا بطاقة رومنسيَّة مُفرطَة في الرقَّة، بل واحدَة ذات تصميم ذي زهور، ومساحَة فارغَة لتدوين بضعَة أسطر.

خطَّ «لوك» على البطاقة بسرعة أسطرًا قليلة، علمًا منه بأنَّ المستقبَل سوفَ يتّسعُ لمزيدٍ من البطاقات والكلمات والأحاديث: «ترايسي» أنتِ شخص رائع. أنا أعرفُ أنّكِ ستتغلَّبين على هذه المحنة. سأكون حاضرًا لمعاونتِك على اجتياز كلّ خطوَة في الطّريق». ثمَّ قلَّبَ القلمَ بأصابعِه لثوانٍ قبلَ كتابة آخر كلمتَين، كانتا قد باتتا عندَه أكثر دلالةً وأهميَّة الآن، فكتبهما بثقة: «المُحِبّ «لوك».

إستراحَة للتَّفكير

على أيَّة صورة يبدو الحُبّ الحقيقيّ في علاقة صداقة حميمة بين شابّ وفتاة؟ لهذا الحُبِّ العناصرُ الأساسيَّةُ عينُها كما في أيَّةِ علاقةٍ أخرى. وإن كان عنصرا العاطفة والتزام الوقت في هذه العلاقة الخاصَّة أكبرَ غالبًا ممّا هما عليه عادةً.

وإليك بعض الأمثلة:

الحُبّ الحَقيقيّ يسعى إلى تلبيةِ الاحتياج إلى المؤاساة والدَّعم والتَّشجيع. كان هذا الشَّيءَ الأوَّلَ الذي ذكرَه «داغ» و«جانّي» لمّا سألهما «لوك» عن اقتراحاتٍ عمليَّة بشأن إبداء الحُبّ الحقيقي. وكلّ إنسانٍ يحتاج إلى المؤاساة والدَّعم والتّشجيع، ولاسيَّما في أوقات الألم والإحباط التي لا مفرَّ منها في الحياة. وليست المؤاساة نوعًا من «رفع الشّأن»، بحَثِّ الشّخص الآخر على التّمالك والتّماسُك انتظارًا للفرَج. وليست هي محاولة لتفسير الأسباب التي تؤدّي إلى نزول البلايا بالنّاس. ولا هي حِزمَة من الكلمات الإيجابيَّة عن سيطرَة الله على كلِّ شيء، وعن كون كلِّ شيء للخَير. فلَئن تكُن هذه كلُّها صالحةً ونافعَة في حينِها. فهي لا تسدُّ الفراغ الجَوهري في الحاجَة إلى المؤاساة.

فالآخرون يتلقَّون العزاءَ عندما نشاركُهم في الشّعور بالأَلم والحزن اللّذَين يُعانونَهما، بحيث يتأكّد لهم أنّهم ليسوا وحَدهم في المعاناة، «وبكاءً مع الباكين» (رومية ١٥:١٢). ووجَّهَت «جانّي» «لوك» إلى تعزيَةِ «ترايسي» وأمِّها بلمسة رقيقة، ومعانقة رفيقة، وكتِفٍ تستندان إليها عندما تبكيان. فعندما يكون صديقُكَ الخاصّ متألّمًا لسبب ما، فأسمِعه كلمات مثل: «أنا أعرفُ أن هذا مؤلم»، أو «أنا آسف لاضطرارِكَ إلى خوض هذه المعاناة». أو «أنا أتألَّمُ معكَ حقًّا». وأرجئ كلامَ النُّصح والتّحريض المُقتبَس من الكتاب المقدَّس حتّى تكون قد شاركتَ صديقَكَ فعلاً في مشاعره، تلكَ هي التّعزيَة الكتابيَّة فعلاً.

والحُبُّ الحقيقيُّ أيضًا يُلبّي الحاجَة إلى الدَّعم. وإنَّكَ لَتوفِّرُ الدَّعمَ حين تُحاول أن تخفّفَ حِملَ صديقِك بطرُقٍ عمليَّةٍ مفيدَة حقًّا. ففي الواقع أنَّ أفعالَ الدَّعم تتمِّم نصيحَة الرّسول بولس في رسالة غلاطية ٢:٦ أنِ «احمِلوا بعضَكم أثقال بعض، وهكذا تمّموا ناموسَ المسيح». ولا بُدَّ أن تُتاحَ لِـ«لوك» فرَص لتأديَةِ جُملةٍ من المهمَّات النّافعَة لـ«ترايسي» وأمِّها بحيث يخفّف عنهما أعباءَهما بطرقٍ عمليَّةٍ. وأنتَ إنّما تعبِّرُ لصديقِكَ المميَّز عن حُبٍّ كتابيٍّ حقٍّ كلَّما خدَمتَه بطرقٍ عمليَّةٍ نافعَة.

ثمَّ إنَّ كلَّ إنسانٍ في هذه الحياة يحتاج إلى تشجيع. والحبُّ الحقيقيّ يطلب طرُقًا لتلبيَةِ هذا الاحتياج. ونحن نشجّعُ الآخرين كلَّما قلنا أو فعلنا أمرًا يراعي مشاعرَهم ويرفع معنويّاتِهم. وما البطاقة التي حملَها «لوك» إلى «ترايسي» ولاسيَّما كلمات التّشجيع التي خطَّها في طَيِّها، إلاّ طريقة بسيطة للتّعبير عن التّشجيع. وفي وسعِكَ أن تبذلَ التّشجيع للآخرين بكثيرٍ من الطرُق العمليَّة، مثل البطاقات والرَّسائل، الخطيَّة منها أو الإلكترونيَّة، والمكالمات الهاتفيَّة. ويتمُّ إيصال التَّشجيع حين تركّز كلمَاتِك وانتباهَكَ على صديقِك الحَميم وما يخوضُه من صراعٍ أو كفاح.

الحُبُّ الحقيقيّ لا يستغلُّ الشَّخص الآخر. إنَّ استغلالَكَ شخصًا ما في علاقة «حُبٍّ لإشباع ذاتِكَ عاطفيًّا أو جسديًّا لَهوَ انتهاكٌ لمبدأي الحماية والعناية في الحُبّ. فالعمل في سبيل لذَّتِكَ الشّخصيَّة لا يُسهمُ في سعادة الطَّرَف الآخر وصحَّتِه ونموِّه الرّوحي.

الحُبُّ الحقيقيُّ لا يدفعُ الطَّرَفَ الآخر إلى نشاطٍ جنسيٍّ. إنَّ في «الحَضارَة» العصريَّة ضغطًا هائلاً على الطلاّب الكبار للتورُّطِ في نشاطٍ جنسيٍّ، ولو في علاقات المُواعدَة العابرَة. فما في أيّامِنا من أفلامٍ وأغانٍ ووسائل إعلام ينظر إلى الجنس قبل

الزَّواج باعتبارِه أمرًا عاديًّا ومتوقَّعًا. غير أنَّ أيَّ نشاطٍ جنسيٍّ خارج خطَّة الله بشأن العلاقة الحَميمَة في الزَّواج قد يخلّفُ ندوبًا تبقى مع السّنين على الصّعيد النّفسي، والعاطفي، والرّوحي. فالحبُّ الحقيقيُّ يحمي المرءَ من عواقبِ الشّعور بالذّنب والمُعاناة، إذ يوفّرُ علاقة آمنة وبنّاءَة من طريق القول «لا» للجنس قبل الزَّواج.

الحُبُّ الحقيقيُّ لا يصرُّ على علاقة صداقة حَصريَّة. بعض الطلاّب يستأثرون بوقتِ الطّرف الآخر وانتباهِه، في علاقة الصّداقة الحَميمَة. غير أنَّ هذا الأسلوب الأنانيّ، بدلَ ان يحميَ الشَّخصَ الآخر ويعتنيَ به، يقيّدُ ويعوّقُ سعادتَه وصحَّتَه ونموَّه الرّوحي. لكنَّما الحبُّ الحقيقيُّ يشجّعُ على التفاعل السّليم مع الآخرين.

الحُبُّ الحَقيقيُّ لن يفعلَ ما يدمّرُ سعادةَ الآخر وصحَّتَه ونموَّه الرّوحي. إذًا، كيف تعرف هل وجدتَ الحبَّ الحَقيقيَّ؟

إنَّكَ تعرفُ أنَّ الحبَّ حقٌّ حين تجعل سعادة الطّرَف الآخر وصحَّتَه ونموَّه الرّوحي موازيةً في الأهميَّة لِما يخصُّكَ. ذلكَ ما يعنيه أن تحميَ شَخصًا تحبُّه وتعتنيَ به. والتوجيهاتُ التاليَة تعينُكَ على ترجمَة هذا التَعريف في علاقتِك بالشَّخص المميَّز

في حياتِك:

- ضَعا الربَّ يسوعَ في المَقامِ الأوَّل من علاقتِكما.
- كونا منفتِحَين وصَريحَين واحدَكما مع الآخر.
- إقبَلا بعضَكما قبولاً كاملاً. بما في ذلك الأخطاء والنّقائص.
- إلتمسا موافقة أهلِكما على علاقتِكما.
- تجنَّبا أيَّ وضعٍ أو نشاطٍ قد يُغريكما بالتّساهل في عهدِ الحفاظ على الطّهارة الجنسيَّة.
- عالِجا أيَّ خلافٍ بسرعةٍ وبكلّ محَبَّة.
- ليَكن تشديدُكما على الصّداقة في علاقتِكما أكثر منه على الحُبّ.

من المبكّر جدًّا أن نقولَ إن كانت العلاقة بين «لوك» و«ترايسي» ستتطوَّر إلى التزامٍ في الزَّواج. ذلك أنَّ عواملَ أخرى كثيرَة سوف تلعب دورَها على مدى الشّهور التاليَة والسّنين المقبلة، ولاسيَّما ما يرشدُهما اللّه إليه من جهةِ دراستِهما الجامعيَّة واختيار مهنة الحياة. غير أنَّ «لوك» اجتازَ منعطفًا خطِرًا في علاقته بـ«ترايسي». فقد قبِلَ تحدّي «داغ» بأن يَحميَها ويعتنيَ بها ما دامت علاقتهما قائمَة. وهذا وضعٌ لا

خسارَة فيه لكليهما. وإذا قيِّضَ لهما أن يتزوَّجا في المستقبَل فإنَّهما سوف يبدأانِ حياتَهما معًا على أساسٍ صلبٍ متمثّلٍ في حماية واحدِهما الآخر والاعتناء به، بمقتضى الحُبّ الذي يريده اللّه. وإن قرَّرا ألاّ يكملا مسيرتَهما معًا، فإنّهما سوف يفترقان بلا ندامة. بعد أن يكونا قد ساهما كلاهما في تعزيز سعادة الآخر وصحَّتِه ونموّه الرّوحي.

ولعلَّكَ أنتَ غير متيقّن من جهةِ مستقبلِكَ مع الشَّخص المميَّز الذي تصادفُه الآن، شأنُك شأن «لوك» و»ترايسي» من جهةِ علاقتِهما. غير أنَّ آمالَ علاقتِكما لا بدَّ أن تكونَ مُشرقةً وإيجابيَّة بالمِثل. إذ ترَكّزان على الحُبّ الحَقيقيّ المتمثّل في حماية أحدِكما للآخر والاعتناء به.

LifeAgape International

حياة المحبّة